

٥ - الميسر والأزلام

للاستاذ عبد السلام محمد هارون

لماذا استقسم العرب بالأزلام؟

كان العرب في الجاهلية على حيرة من أمرهم : أديان شتى ، وقبائل شتى ؛ لانظام لهم يجتمعون عليه ، ولا حكومة موحدة يرجعون إليها ، ويقفون عند الحدود التي ترسمها ، والقوانين التي تضمنها فتكون موضع التنفيذ . والصحراء التي يضطربون فيها فتنتالهم حيناً وتبسط عليهم جناح الأمن حيناً ، وكذلك حال الفزع التي كانت تصاحبهم من أشباح الحرب والنارات التي تصبجهم وتسمهم ، ونفاجئهم في ساعة من ليل أو ساعة من نهار ، وكذلك حالتهم المعيشية التي تصيبهم بالبؤس المدقع والجوع القاتل أحياناً .

هذه الطبقات الكثيفة جامدة متججرة تنفرد في التأثير بساوك رجال الحكم السوفيتي بصورة قد تتناقض في بعض الحالات مع طبيعة العقلي والقومات الخلقية للشعب الروسي . وليس هذا التناقض بشئ جديد في سلوك الأفراد والجماعات ؛ فالبريطاني في بلده إنسان يختلف في عقلية وسلوكه عن مواطنه الذي يتولى حكماً في مستعمرة أو يتفقد سياسة معينة درب نفسه على تنفيذها مسلحاً بثقافة استعمارية خاصة ، فرجال السلك الخارجي البريطاني مثلاً حين ينتدبون للخدمة في المستعمرات والمحميات والانتدابات يمرون في تدريب خاص في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن مثلاً ، وما أكثر ما خلقه هذا التدريب من سلوك شائن بعيد عن أوصاف العقلي البريطانية التقليدية

وبمثل هذا القياس يجب أن نوازن بين رجال الحكم السوفيتي في موسكو وبين المواطنين الروس من غير رجال الحكم والإدارة . فنصف رجال الحكم بأن لهم عقلية سوفيتية (والسوفيت كلمة اشتت بعد توطد الحكم الشيوعي في روسيا) ولنرجع الآن بعد هذه المقدمة على صلب البحث ونحاول أن نتعرف على بعض خصائص السلوك السوفيتي وعقلية الذين يوجهونه

نيويورك السلام بية عمر مليون

لاضطراب الحياة الاقتصادية . وكثرة حوادث القتل والاغتيل التي يتمنر عليهم إصدار حكم فيها . كل أولئك جعلهم في حيرة من أمرهم ، وألقى عليهم ظلاً ممتداً قائماً من التردد والحيرة ، والشك والاضطراب . فكان لابد لهم مما يذهب عنهم هذه الحيرة القاتلة ، فلجأوا إلى وسائل شتى ظنوها تجلب إليهم شيئاً من الروح والطمأنينة وإن صارت عليهم حرباً فيما بعد ذلك . لجأوا إلى التفاؤل والطيرة فحكوا الطير والحیوان في أمورهم ، أيقنمون أم يحجمون . وتفاؤلوا بالأصوات والكلمات يلتصمون فيها للمنى الذي يسطهم فيمضون فيما هم بسيله ، والمنى الذي يقبضهم فيرتدون إلى حيث الأمن والسلامة

قال الجاحظ^(١) : وبدل على أنهم يشتتون من اسم الشئ الذي يعاينون ويسمعون قول سوار بن القرب :

تغنى الطائران بين ليلي على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بان سلمي وفي الغرب اغتراب غير داني
قاشتق كما ترى الاغتراب من (الغرب) والبينونة من (البان)
وقال جران المود :

جری يوم رحنا بالجمال زفها عتاب وشحاح من البين يريح
فأما العتاب فهي منها عقوبة وأما الغراب فالغريب المطوح
فلم يجد في العتاب إلا العقوبة ، ووجد في الغراب معنى الغربة واستخبروا الجماد ، فكانوا يضربون بالحصى ليحكم بينهم في أمرهم ، يطيمون حكمه وهو الجماد الذي لا يسمع ولا يصر ولا ينشئ شيئاً

كان يفعل ذلك دهماء العرب ذوو النفوس اللينة الضعيفة ويذكرون أن النابغة الذبياني كان من أولئك . زعم الأصمعي^(٢) أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيري الذي خرج في هذا الوجه ! فلما رجع زبان من تلك الغزوة غائماً سالماً قال :

نخبير طيره فيها زياد لتخبره وما فيها خير^(٣)

(١) الحيوان (٤ : ٤٤٠)

(٢) الحيوان (٤ : ٤٤٧)

(٣) زياد : اسم النابغة الذبياني . وما يحدد ذكره أن العرب يمدون (الجراد) من الطير

لتخبرهم بمحنة نسبه أو بطلان ذلك

٤ - وكانوا إذا خرجوا في حرب عرجوا قبل ذلك على أمين الأزلام ليكشف لهم بأزلامه عما يحجب النيب لهم من فوز وغنيمة ، أو خيبة وإخفاق فيعضون أو يرتدون
٥ - وإذا حصل بينهم (مداراة) أى خلاف وخصومة ، فإن الحكم فيها هو الأزلام^(١)

٦ - وإذا أرادوا استنباط المياه وأرادوا أن يحفروا بئرا ضربوا بالقداح يستأمرونها في ذلك^(٢)

٧ - وكذلك الأمر إذا عزم أحدهم على زواج ، أو على ختان ولده ، أو على بناء قبة ، وسائر شؤون الحياة التي يطرأ عليه فيها الشك والاضطراب^(٣)

أزلام الاستقسام

وأزلام الاستقسام هذه شبيهة بقداح اليسر ، فهي عيدان تسوى مثل ما تسوى عيدان قداح اليسر . وإنما سميت هذه القداح بالأزلام لأنها زلت ، أى سويت . ويقال : رجل مزلم وامرأة مزلمة ، إذا كان خفيفا قليل الملائق . ويقال : قدح مزلم ، وزلم إذا ظرف وأجيد قده ومنتمه . وما أحسن ما زلم سهمه ، أى سواه . ويقال لقوائم البقر أزلام ، شبهت بالقداح للطاقتها^(٤)

وقد أسلفنا القول أن قداح اليسر تحز فيها حزوز ، أو نومم بوسوم تميز بعضها عن بعض . ولكن أزلام الاستقسام كانت تمل بعلامات آخر تتفق مع النرض الذي أعدت له ، وذلك بكتابة خاصة تسجل عليها ، كما سيأتى

ويختلف الرواة في عدد هذه الأزلام فيملنون بها الثمانية عدا . كتب على واحد منها : (أمرنى ربى) ، وعلى واحد منها : (نہانى ربى) وعلى واحد : (منكم) ، وعلى واحد : (من غيركم) وعلى واحد : (ملصق) وعلى واحد : (العتل) أى الدية . ويضعون إلى هذه الستة قدحا غفلا لم يكتب عليه شئ ، فإن خرج النفل مرة أعيد الضرب إلى أن يخرج غيره من القداح

(١) المجز لابن حبيب ، بتحقيق الدكتور الهزء ص ٣٣٢

(٢) تفسير أبى حيان (٤٢٥: ٣) والسيرة لابن هشام ٩٧ طبع جوتجن

(٣) المجز ، وتفسير أبى حيان ، وتفسير القفر (٣ : ٣٥٧) ،

واليسر والتداح ٣٩ - ٤٠

(٤) القفر الرازى (٣ : ٣٥٧)

أقام كأن لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور والبيت الثانى من هذه الآيات يدلنا على مقدار إيمان بعض العرب بالطيرة ، وخفوعهم التام لسلطانها كما أن البيت الرابع يدلنا على نظرة العتلاء منهم إلى الطيرة ، وأنها من صميم الاتفاق لا غير . وكان زبان من دهاة العرب وساداتهم ومن كان لا يرى الطيرة شيئا الرقش من بنى سدوس ، إذ يقول :

إنى غدوت وكنت لا أغدو على واق وحام
فإذا الأشائم كالآيا من والأيا من كالأشائم
فكذلك لا خير ولا شر على أحد بدائم
فالعرب في جاهليتهم كانوا يضطرون إلى ذلك ليجتلبوا قوة العزيمة فيما ضعفت عزيمتهم فيه ، وليقطعوا الشك قطعا بذلك الحكم الحاسم الذى يخضعون له خفوعا كاملا

١ - فكان العربى إذا أراد السفر والتنقلة من موضعه استقسم بالأزلام ، ففي السفر مخاطر كثيرة ، مخاطر الطريق أن يضل به أو تتعرض له في جنباته السباع ، أو تطيح به الماضفة الموجهاء ، ومخاطر الرحلة التى يعتملها فقد تهلك راحلته فتسبب به مشقة السفر . وتحذره نفسه بعدم ذلك ، أيؤوب سالما غائما ، أم يناله الهلاك وتطويه الحمية ، فلا بد له أن يقوى عزمه باستشارة الأزلام فهي التى تأمره ، وهى التى تنهاه

٢ - وكان العربى إذا ابتنى تجارة وليست التجارة أمرا هينا عند العرب ، فلا بد للتجارة في أغلب الأمر من رحلة إلى شرق البلاد أو غربها ، أو شمالها أو جنوبها ، وفي ذلك التعرض للسلب والنهب والمداوات القبلية . فهو قبل أن يضع رجله في غرز نافته يستفتى الأزلام لتبشره بالفوز وتؤيد رأيه في القيام بهذه الرحلة ، أو لترده عما عسى أن يكون قد كمن له في ثنيات الطريق من مخاوف وأخطار

٣ - وكان العرب يلقون بالا كبيرا إلى الأنساب ، يتخرجون أن يدخل الأجنبي في أنسابهم ، مبالغة منهم في حصانة القبيلة وتماسكها ، فإذا شكوا في نسب مولود أو رجل فليست لهم وسيلة تذهب عنهم ذلك الشك إلا أن يحتكموا إلى الأزلام

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً ، أو ينكحوا منكحاً ، أو يدفنوا ميتاً ، أو شكوا في نسب أحدهم ذمبوا به إلى هبل »
وقال الجاحظ^(١٢) : (راسعوا في القدح الأمر ، والنهي ، والتربص . وهن غير قدح الأيسار)
وفي صبح الأعشى^(١٣) : (افعل ، لا تفعل ، نعم ، لا ، خذ ، سر ، سريع) . وقال : (وإن كان بين اثنين اختلاف في حق^(١٤) سمي كل منهما سهماً وأجابوا القدح ، فمن خرج سهمه فالحق له)
واختلاف الروايات في ذلك يدلنا على أن العرب ما كانوا يلتزمون في صناعة الأزلام نهجاً معيناً يتسرون عليه أنفسهم ، وإنما كان لكل كاعن من كهانهم ، ولكل حكم من حكمهم طريقة خاصة فيما يكتب على أزلامه من الإشارات ، كما يدل على أن لكل قضية من قضايا الاستفتاء أزلاماً خاصة بها تناسبها وتنهض لها

عبد السلام محمد شارود

للسلام صلة

(١٢) الحيوان (٣ : ٤٤)

(١٣) صبح الأعشى (١ : ٤٠٢)

(١٤) هذا ما سماه ابن حبيب (المداراة) ، كما سبق

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للجلد الأول
من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد
بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع
الكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا
أجرة البريد

وذكر ابن حبيب في الخبر^(٨) أنه قد كتب على أحدها
(افعل) وعلى الثاني (لا تفعل) وعلى الثالث (نعم) وعلى الرابع
(لا) وعلى الخامس (خير) وعلى السادس (شر) وعلى السابع
(بطى) وعلى الثامن (سريع) . وذكر أيضاً أنه كتب على
بعضها (صريح) وعلى الآخر (ملصق) . كما ذكر أن قدح
(المداراة) التي سبق الكلام عليها كانت بيضاء ليس فيها شيء .
وذكر أيضاً أنه كان للحضر والسفر سهمان فيأتون السادن من
سدنة الأوثان فيقول السادن : « اللهم أيهما كان خيراً فأخرجه
لفلان » . فيرضى بما خرج له

وذكر ابن الكلبي^(٩) عند الكلام على « هبل » : « وكان
في جوف الكعبة ، قدامه سبعة أقدح مكتوب في أولها (صريح)
والآخر (ملصق) فإذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا
بالقدح ، فإن خرج (صريح) أحقوه ، وإن خرج (ملصق)
دفعوه . وقدح على الميت ، وقدح على النكاح ، وثلاثة لم تقسروا
على ما كانت . فإذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه
فاستقسموا بالقدح عنده ، فما خرج عملوا به وانتهوا إليه »

قال : « وعنده ضرب عبد الطلب بالقدح على ابنه عبد الله »
وسند ذكر هذا الأمر بتفصيل عند الكلام على العامل الديني
وذكر أيضاً في الكلام على ذي الخلعة^(١٠) : « وكانت له
ثلاثة أقدح : الأمر ، والنهي ، والتربص »

وقال ابن هشام^(١١) : « وكانت عند هبل قدح سبعة كل
قدح منها فيه كتاب . قدح فيه (القتل) — أي الدية — إذا
اختلفوا في القتل من يجمعه منهم ضربوا بالنداح السبعة ، فإن
خرج القتل فلي من خرج حمله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه
يضرب به في القدح فإن خرج قدح نعم عملوا به . وقدح فيه (لا)
إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القدح فإن خرج ذلك التده لم
يفعلوا ذلك الأمر . وقدح فيه (منكم) ، وقدح فيه (ملصق) ،
وقدح فيه (من غيركم) ، وقدح فيه (الياء) إذا أرادوا أن
يحلفوا الماء ضربوا بالقدح وفيها ذلك القدح فحينما خرج عملوا به .

(٨) الخبر ن ٣٣٢

(٩) في الأسماء ن ٢٨ وعنه قل ياتوت في (هبل)

(١٠) الأسماء ٤٧ وتل عنه ياتوت في (الخلعة)

(١١) السيرة ٩٧ جوتجن